

## تفسير البحر المحيط

@ 446 @ يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه ( وفي الحديث عن ابن المبارك بإسناده أن الرسول صلى الله عليه وسلم ) طلع من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه ونحن نضحك فقال : ( ألا أراكم تضحكون ) ثم أدبر حتى إذا كان عناء الحجر ، رجع إلينا القهقري فقال : ( جاء جبريل عليه السلام فقال يقول الله لم تقنط عبادي نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ) . .

{ وَنَدَبْتُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا سَلَامًا \* قَالَ إِنْ نَسَا مِنْكُمْ وَجِلُّونَ \* قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنْ نَسَا نُبَشِّرُكَ بِرِغْلَامٍ عَلِيمٍ \* قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّ نِي الْكَبِيرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ \* قَالُوا بِشَرِّ نَاكِ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ \* قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } ولما ذكر تعالى ما أعد للعاصين من النار ، وللطائعين من الجنة ، ذكر العرب بأحوال من يعرفونه ممن عصى وكذب الرسل فحل به عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ، ليزدجروا عن كفرهم ، وليعتبروا بما حل بغيرهم . فبدأ بذكر جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام ، وما جرى لقوم ابن أخيه لوط ، ثم بذكر أصحاب الحجر وهم قوم صالح ، ثم بأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب . وقرأ أبو حيوة : ونبههم بإبدال الهمزة ياء . وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين بشروه بالولد ، وبهلاك قوم لوط . وأضيفوا إلى إبراهيم وإن لم يكونوا أضيافاً ، لأنهم في صورة من كان ينزل به من الأضياف ، إذ كان لا ينزل به أحد إلى ضافه ، وكان يكنى أبا الضيفان . وكان لقصره أربعة أبواب ، من كل جهة باب ، لثلا يفوته أحد . والضيف أصله المصدر ، والأفصح أن لا يثنى ولا يجمع للمثنى والمجموع ، ولا حاجة إلى تكلف إضمار كما قاله النحاس وغيره من تقدير : أصحاب ضيف . وسلاماً مقتطع من جملة محكية بقالوا ، فليس منصوباً به ، والتقدير : سلمت سلاماً من السلامة ، أو سلمنا سلاماً من التحية . وقيل : سلاماً نعت لمصدر محذوف تقديره : فقالوا قولاً سلاماً ، وتصريحه هنا بأنه رجل منهم ، كان بعد تقريبه إليهم ما أضافهم به وهو العجل الحنيذ ، وامتناعهم من الأكل وفي هو ذاته أوجس في نفسه خيفة ، فيمن أن هذا التصريح كان بعد إيجاس الخيفة . ويحتمل أن يكون القول هنا مجازاً بأنه ظهرت عليه مخايل الخوف حتى صار كالمصرح به القائل . .

وقرأ الجمهور : لا توجل مبنياً للفاعل . وقرأ الحسن : بضم التاء مبنياً للمفعول من الإيجال . وقرء : لا تاجل بإبدال الواو ألفاً كما قالوا : تابة في توبة . وقرء : لا

تواجه من واجله بمعنى أوجله . إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل ، أي :  
إني بمثابة الآمن المبشر فلا توجل . والمبشر به هو إسحاق ، وذلك بعد أن ولد له  
إسماعيل وشب بشروه بأمرين : أحدهما : أنه ذكر . والثاني : وصفه بالعلم على سبيل  
المبالغة . فقيل : النبوة كقوله تعالى : { وَبَشِّرْ رَبَّ نَاهُ بِرِاسِ إِسْحَاقَ نَبِيًّا } وقيل  
: عليم بالدين . .

وقرأ الأعرج : بشرتموني بغير همزة الاستفهام ، وعلى أن مسني الكبر في موضع الحال .  
وقرأ ابن محيصن : الكبر بضم الكاف وسكون الباء ، واستنكر إبراهيم عليه السلام أن يولد  
له مع الكبر . وفيه تبشرون ، تأكيد استبعاد وتعجب ، وكأنه لم يعلم أنهم ملائكة رسل الله  
إليه ، فلذلك استفهم ، واستنكر أن يولد له . ولو علم أنهم رسل الله ما تعجب ولا استنكر ،  
ولا سيما وقد رأى من آيات الله عياناً كيف أحيا الموتى . قال الزمخشري : كأنه قال : فبأي  
أعجوبة تبشروني ، أو أراد أنكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة ، فبأي شيء تبشرون  
؟ يعني : لا تبشروني في الحقيقة بشيء ، لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء . ويجوز أن  
لا تكون صلة لبشر ، ويكون سؤالاً على الوجه والطريقة يعني : بأي طريقة تبشرونني بالولد ،  
والبشارة به لا طريقة لها في العادة انتهى . وكأنه قال : أعلى وصفي بالكبر ، أم على أنني  
أرد إلى الشباب ؟ وقيل : لما استطاب البشارة أعاد السؤال ، ويضعف هذا